مفهوم الشعر لدى شعراء العصر العباسي

أ.م.د.منتصر عبد القادر الغضنفري
جامعة الموصل / كلية التربية

تاريخ تسليم البحث : 2004/10/13 ؛ تاريخ قبول النشر : 2005/11/9

ملخص البحث :

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن مفهوم الشعر لدى شعراء العصر العباسي وبيانه ، وذلك من خلال ما ورد في نصوصهم الشعرية من آراء عامة في الفن الشعري ، أو في أثناء تعليقاتهم وردودهم النقدية على ما قيل في أشعارهم من آراء . بمعنى أننا لم نعرض لآرائهم النقدية في غيرهم من الشعراء سابقين لهم أو معاصرين ؛ لأنها آراء خاصة أولا ولأن دراسات سابقة قد تناولتها ثانيا . وقد عرضنا لذلك عبر محاور استخلصناها من النصوص التي درسناها أنفسها ، مما يدخل في إطار تفصيلات المفهوم .

The Concept of Poetry According to the Abbasid Poets

Dr. Muntasir Abdul Qadir Al -Gadhanfary
Mosul University\College of Education

Abstract:

This research is intended to explain the concept of poetry to a number of abbasid poets through studying their poetic texts and their critical opinions mentioned in their own commentary in reply to what had been said in their private texts . this topic is studied according to certain axes used in the division of this paper such as : subjects of poetry , menning and pronunciation , truth and lie , eupheuism and concisness , poetic thefts , rhetoric arts .

مدخل:

حظي مفهوم الشعر* بعناية بالغة من النقاد العرب قدامى و محدثين على اختلاف توجهاتهم وتعدد مشاربهم وتباين اهتماماتهم بدءا من ابن سلاّم والجاحظ مرورا بالمرزوقي والقرطاجنّي وانتهاء بالنقاد المعاصرين ، بكل ما يزخر به هذا التاريخ النقدي من تنوع وثراء أضفتهما جهود عدد كبير من النقاد والدارسين على امتداد مراحله . ولم يكن الشعراء ببعيدين عن هذه الحركة النقدية الفاعلة المتفاعلة فقد أدلوا بدلائهم وقالوا آراءهم في كل ما شغل النقاد والمعنين بوصفهم أي الشعراء قطب الرحى في أهم فن أدبي عرفت به العرب حتى جعلته ديوان حياتها ألا وهو الشعر ، ولقد عبّر البحتري عن ذلك حين قال "... فإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه"[1] . ومما قالوا فيه وحكوا عنه مفهوم الشعر.

وإذ نحاول في هذا البحث استجلاء مفهوم الشعر لدى شعراء العصر العباسي فيجدر بنا التنبيه إلى ما يأتي :

أولا. إن النصوص التي سنتخذها مادة لبحثنا هي شعر الشعراء أنفسهم وما روي عنهم من أقوال أو آراء أو أخبار، مقتصرين على ما كان منها كلاما عاما غير مرتبط بأحد أو شخص ، بمعنى أننا سنستبعد الآراء النقدية التي قالها بعضهم في بعض، مما بحثه غيرنا من الدارسين[2] ، محاولين اقتناص ما يدخل في إطار التنظير والتقعيد دون الخصوصية والتحديد .ومما عملوا على تطبيقه في أشعارهم .

ثانيا. عمدنا في اختيار نماذج بحثنا من الشعراء إلى من برز لديهم الحديث عن مفهوم الشعر وكان لهم آراء مهمة فيه؛ ومن ثمة فقد خصصنا بالاستشهاد الشعراء أبا تمام و البحتري و ابن الرومي والمتنبي فضلا عن إشارات متفرقة إلى الشعراء بشار بن برد وعلي بن الجهم و الناشئ . مع عدم إنكارنا وجود نصوص أخرى لشعراء غيرهم مما لا تتسع له طبيعة مثل هذا البحث ، وإن كان لا يخرج عن إطاره .

أما خطة البحث فسنقسمها على محورين ، يتعلق الأول بكل ما يتصل بعملية النظم الشعري بدءا بالبواعث وتخير الوقت وانتهاء بالإنشاد والاستعادة . ليعنى الثاني بموضوعات (نقدية) هي أقرب إلى الدرس النقدي منها إلى قول الشعر ، ولكننا ارتأينا أن نعزز بها مادة المحور الأول حتى تتكامل نظرتنا إلى موضوع البحث من جوانبه كافة .

((1))

1. تخير الأوقات ، والبواعث على القول :

كثر الكلام في تراثنا الشعري النقدي على نسبة الإبداع بل الإلهام إلى الجن والشياطين في نظرة إلى هذا الأمر قد تكون بدأت عن اعتقاد أو تصديق لكنها فيما بعد ولاسيما في العصر العباسي اتجهت نحو معاني اللهو والعبث والتظرف ؛ ومن ثمة فإن للنظم أوقاته الخاصة به التي تفرضها دواعيه والدوافع إليه. وقد ورد الكلام على هذا الأمر عند شعراء هذه الحقبة (العباسية) ولعلها تتضح أكثر ما تتضح في وصية أبي تمام للبحتري ؛ إذ قال في هذا الشأن مخاطبا البحتري "يا أبا عبادة ، تخيَّرَ الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم، واعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شئ أو حفظه في وقت السحر، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم .. " [3]. فأبو تمام يشترط أولا الأوقات التي تكون النفس فيها قليلة الهموم ، هادئة ، منبسطة وإلا فإنها بغير ذلك لن تكون قادرة على الانفعال بالتجربة والتفرغ للتأمل فيها وتحويلها إلى نص إبداعي . بل إنه أي أبا تمام ليذهب إلى تحديد الوقت (المادي) ضمن هذه الأوقات (النفسية) حين يجعله وقت السحر ؛ إذ تكون النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم على حد تعبيره فتكون مهيأة للانفعال والإشراق . وليس من شك في أن تحديد أبي تمام هذا لا يعني عدم إمكان النظم في غير هذا الوقت ؛ فلحظة الإبداع أو وقته ليس بالأمر الممكن تحديده على الدوام فهو لا يخضع لقالب أو يسير على شرط ، فضلا عن أن من التجارب والبواعث ما يعلن عن نفسه إبداعيا في لحظة الانفعال عينها حتى أن المبدع إذا لم يستجب لداعي الإبداع في حينه ربما خسر فرصة إبداعية تعبيرية قد لا تعطيه قيادها ثانية ، ولكن المقصود منه أن ثمة أوقاتا أو لحظات إذا "قسر الشاعر نفسه ، في مثل تلك اللحظات ، على قول الشعر عاصته قريحته ونفر عنه الإلهام "[4] .

لاشك ان الدوافع أو البواعث على قول الشعر تتعدد بتعدد الشعراء أولا وباختلاف الظروف النفسية والحالات الانفعالية التي يمر بها كل منهم ثانيا . وإذا كان الشعراء العرب قبل العصر العباسي قد أشاروا في لمحاتهم النقدية ، سواء في أحاديثهم عن أنفسهم أو عن غيرهم من الشعراء معاصرين لهم أو سابقين عليهم إلى عدد من الدوافع إلى القول أو البواعث عليه من مثل : الرغبة والرهبة والطرب والخوف ، والفراغ والخلوة ، والغضب ، وغيرها من البواعث [5] فإن شعراء العصر العباسي ممن اتخذناهم نماذج لبحثنا وفيما قرأناه على ألسنتهم ، تنظيرا وتعميما لا نقدا لغيرهم من الشعراء ، لم يطيلوا القول في هذا الشأن ، ولعل مرد ذلك إلى اكتفائهم بما ورد عن زملائهم ممن سبقوهم ، خاصة وأن الأمر لا يخرج في عمومه عما قالوه . ونستثني من ذلك

ما جاء في أثناء كلامهم على موضوعات الشعر من خلال نظمهم فيها مما سنعرض له في المبحث التالي .

ولعل مما يدخل في هذا الإطار ما أشار إليه البحتري في قوله [6] :

لـــي مـــن الشـــعر نخـــوة واعتـــزاز وهجـــوم علـــى الأمـــور الشـــداد

من غير أن يحدد مكمن التخوة و الاعتزاز وطبيعة الهجوم على الأمور التي وصفها بالشداد ، فجاء كلامه عاما قابلا للتأويل على أنحاء شتى .

ولعل من ذلك ما قاله بشار بن برد في معرض إجابته من سأله " بم فقت أهل عمرك وسبقت أبناء عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه ؟ قال : لأني لم أقبل كل ما تورده عليَ قريحتي ، ويناجيني به طبعي ، ويبعثه فكري ... "[7] . فبشار لم يستسلم لكل ما اعترضه من خواطر ومرَ به من أفكار بل عمد إلى التأمل والآنتقاء بغض النظر عن طبيعة الموضوعات ؛ إذ لابد للباعث أن يكون قويا مؤثرا يستفز انفعال الشاعر .

وإذا ما عدنا إلى وصية أبي تمام رأيناه يؤكد على عدم المضي في نظم الشعر إذا ما اعترض الشاعر عارض يتعب النفس ويشغل القلب ، فلابد من الشهوة على حد تعبيره ليستمر الشعر في تألقه وجذوته . قال للبحتري " .. وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولا تعمل شعرك إلا وأنت فارغ القلب، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه ، فإن الشهوة نعم المعين ... "[8] .

2. موضوعات الشعر :

شغلت موضوعات الحياة وجوانبها الشعراء فنظموا في كل تفصيلاتها ودقائقها ضمن أطر الموضوعات والأغراض الشعرية المعروفة . ولعل من أبرز الموضوعات التي نظم فيها الشعراء وذكروها المديح . قال أبو تمام يوصي البحتري " .. فإذا أخذت في مديح سيِد ذي إياد فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبن معالمه وشرِف مقامه ... "[9] . وهذا ما كان يفعله الشعراء كافة ومنهم أبو تمام نفسه الذي قال في معرض مدحه أحدهم مشيرا إلى أن بفضل هذا الممدوح صار كل أحد يحسن المدح [10] :

غـــرض المـــديح تقاربـــت آفاقـــه ورمـــى فقـــرطس فيـــه غيـــر الرامـــي

فاشتراطات غرض المديح صارت قريبة المتناول بفضل سجايا هذا الممدوح . أما البحتري فإنه يذهب إلى أن انتشار شعر المديح وذيوع صيت الممدوح لايتحقق إلا حين يكون الشاعر فحلا قادرا[11] :

والمـــدح لـــيس يجـــوز قاصـــية المـــدى حتـــى يكـــون المجـــد مجـــد الشـــاعر

وكأني به يوازن ويساوي بين الشاعر والممدوح في الفضل والتميز كلا بحسب دوره. وإلى مثل هذا ذهب المتنبي ؛ إذ قال يخاطب ممدوحه مساويا نفسه به ومشيرا إلى تميزمديحه إياه عن مديح سواه من الشعراء [12] :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعاني الدقاق

لم تزل تسمع المديح ولكن صهيل الجياد غير النهاق

فصهيل الجياد شعره والنهاق شعر غيره من الشعراء .

ومما يرتبط بالمديح مما أفصح عنه الشعراء وأعلنوه صراحة التكسب . هذا أبو تمام يقول في مخاطبة أحد ممدوحيه[13] :

وحيـــاة القـــريض إحيـــاؤك الجـــو د فـــإن مـــات الجـــود مـــات القـــريض

فجعل حياة الشعر مرهونة بما يقدمه الممدوح من بذل ويجود به من عطاء . بل إنه ليقرر في بيت آخر من قصيدة في مدح أحدهم يسأله النوال أن الشعر هو الذي سنَ سبل الوصول إلى المكارم ، ومن تلك المكارم في هذا النص بذل المال ، وإن كنا نقر بأنه قد قدم تقريره هذا في نص محكم أذاب الحديث فيه عن المال في مجمل حديثه عن المكرمات . قال[14] :

ولـــولا خـــلال ســـنَها الشـــعر مـــا درى بغـــاة النـــدى مـــن أيـــن تـــؤتى المكـــارم

ليؤكد البحتري الحقيقة نفسها حين يقول مخاطبا أحد ممدوحيه [15] :

والشـــــعر رهـــــن بجـــــزاء الـــــذي نوليـــــه مـــــن نعمـــــى وإفضـــــال

أما ابن الرومي فإنه يتساءل بعد أن لم يثب على قوله[16] :

عجبـــت لقـــوم يقبلـــون مـــدائحي ويـــأبون تثـــويبي ، وفـــي ذلـــك معجـــب

أشـــعري سفســـاف فلـــم يحتبونـــه؟ وإن لاتكـــن هـــاتي فلـــم لاأثـــوَب ؟

إنـه حـائر فـي أمثـال هؤلاء الممدوحين الـذين يقبلـون مدائحـه فيهم بـل يريـدونها لكـنهم لايثيبونه عليها ؛ فالمديح إذن يقتضي الثواب . ويبدو أن ابن الرومي كان يعاني من عدم إكرام ممدوحيه إياه أو قلة ذلك الإكرام، حتى قال في مقاربة طريفة لا تحتاج إلى تعليق[17]:

إذا مـــا المـــدح ســـار بـــلا ثـــواب مـــن الممـــدوح فهـــو لـــه هجـــاء

وإذا ما زادت العطايا زاد الشعر ، وهذه مسلَمة يؤكدها المتنبي بقوله[18] :

أقـــام الشـــعر ينتظـــر العطايـــا فلمـــا فاقـــت الأمطـــار فاقـــا

والزيادة أو التفوق في الشعر هنا تعني الإكثار من المديح لهذا الذي أكرم . وكان علي بن الجهم قد قدم صورة مغايرة حين ادعى أن إحسان الممدوح هو الذي دفعه إلمدحه لا أنه مدحه ليكسب إحسانه . قال[19] :

ومـــا الشـــعر ممـــا أســـتظل بظلـــه ولا زادنـــي قـــدرا ولا حـــطّ مـــن قـــدري
ولكـــن إحســـان الخليفـــة ((جعفـــر)) دعـــاني إلـــى ماقلـــت فيـــه مـــن الشـــعر

اما الهجاء فيأتي ثانيا في ذكر الشعراء إياه بعد المديح من حيث النحو الذي نقصد إليه. ويستخدمه الشعراء سلاحا ضد من يختلفون معه ، وربما لوَحوا بإشهاره قبل ذلك إذا ما رأوا أن التلويح به قد يوقع الأثر المرجو[20] . وقد ربطه بعض منهم بالمديح على أساس تمثيله للضد من القيم التي يمثلها المديح على نحو ما مر بنا في قول ابن الرومي حين عدَ المديح من غيرثواب من الممدوح هجاء[21] ؛ لأن في ذلك بخلا وشحا لا يمكن أن يكونا من صفات أي ممدوح . ولعل مما اتفق عليه كثير من الشعراء إن لم يكن أغلبهم أن في الهجاء أحيانا رفعا لشأن من لا يستحق أن يذكر ولو هجاء . من ذلك قول أبي تمام[22] :

قـــال لـــي الناصـــحون وهـــو مقـــال : ذمُهُ مـــن كـــان خـــاملا إطـــراء
صـــدقوا فـــي الهجـــاء رفعـــة أقـــوام طغـــام فلـــيس عنـــدي هجـــاء

وبصرف النظر عن مرمى الشاعر الشخصي من وراء هذين البيتين فإن فيهما وجهة نظر للهجاء تكمل ما قد استقر في الأذهان والكتب عنه من حيث الغرض منه والدوافع إليه وطبيعة مضمونه أو مضامينه .

ولم تحظ موضوعات الشعر الأخرى بموفور عناية (تنظيرية) إلا ما يمكن أن يكون قد ورد على سبيل التعداد والإشارة العابرة أو إبلاغ رسالة شخصية. من ذلك قول أبي تمام[23]:

مـــن كـــل قافيـــة فيهـــا إذا اجتنبـــت مـــن كـــل مـــا يشـــتهيه المـــدنف الوصـــب
الجـــدُ والهـــزل فـــي توشـــيع لحمتهـــا والنبـــل والســـخف والأشـــجان والطـــرب
لا يســـتقى مـــن خفـــيٍ الكتـــب رونقهـــا ولـــم تـــزل تســـتقي مـــن بحرهـــا الكتـــب
حســـيبة مـــن صـــميم المـــدح منصـــبها إذ أكثـــر الشـــعر ملقـــى مـــا لـــه حســـب

أما البحتري فقال[24] :

إســـمع لغضـــبان تثبـــت ســـاعة فبـــداك قبـــل هجائـــه بعتابـــه
تـــالله يســـهر فـــي مـــديحك ليلـــه مـــتململا ، وتنـــا م دون ثوابـــه

وهذا ابن الرومي يقول[25] :

يـــا حســـرتا لقصـــيدة أغلقتهـــا بمديحـــه وفتحتهـــا بنســـيب
لأبـــدِلَنَ مديحـــه قـــذعا لـــه ولأجعلـــنَ بأمـــه تشـــبيبي

ليأتي المتنبي فينشد[26] :

ألا ليـــت شـــعري هـــل أقـــول قصـــيدة فـــلا أشـــتكي فيهـــا ولا أتعتَـــب

وبـــي مـــا يـــذود الشـــعر عنـــي أقلـــه ولكـــن قلبـــي يـــا ابنـــة القـــوم قلَـــب

وإذ ننتهي من هذا المحور لا يفوتنا أن نشير إلى ما جاء في وصية أبي تمام للبحتري في شأن موضوع الغزل ، إذ قال: "وإن أردت التشبيب فاجعل اللفظ رشيقا ، والمعنى رقيقا، وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجع الكآبة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ..."[27].ولعل لعناية الشعراء بموضوعي المديح والهجاء أكثر من غيرهما من موضوعات الشعر أسبابها الفنية وأبعادها الاجتماعية مما أطال الدارسون والنقاد قديما وحديثا الكلام عليه ، شرحا وتعليلا .

3. الإنشاد ، و سيرورة الشعر :

تحدث بعض من اشعراء بقصد الإبانةعن جودة أشعارهم وقوة أثرها في نفوس متلقيهم عن إنشادهم ذلك الشعر في المجالس وطلب السامعين الإعادة ، ومن ثمة فهي إشارة إلى طقس أدائي كان و وما يزال يرافق إنشاد الشعر العربي ، ولاسيما في تلك الحقبة من عصور الثقافة العربية الع ؛ إذ يتحقق الانفعال بالشعر والتفاعل معه سماعا أكثر منه وربما بكثير قراءة . هذا البحتري يقول[28] :

وكـم لـي مـن محبوكـة الوشـي فـيكم إذا أنشـدت قـام امـرؤ يسـتعيدها

بل إنه ليؤكد في قصيدة أخرى أن شعره يزداد و يتجلى جدَة بإعادة الإنشاد ؛ إذ كلما أعيد اكتشفت فيه مواطن جمال إضافية . قال[29] :

وبيـــان إذا اســـتعيد تجلّـــى جـــدَة باســـتعادة المســـتعيد
جلَـــن أن ينـــال بـــالفم أو يدركـــه الواصـــفون بالتحديـــد
فهـــو كالغـــادة التـــي نهـــد الثَـــد يـــان منهـــا ، أو أشـــرفا للنهـــود
أو كـــورد الريـــاض أو وجنـــات اكـــا عـــب الـــرّود أو كوشـــي البـــرود

ذلك أن الشعر " يبعث فطنة الأكياس " [30] على حد قوله . ونراه في نص آخر يقدم الأمر من وجهه الآخر ؛ فشعره قوي مؤثر يهز الغافلين الجاهلين فينبههم ، فإن لم ينتبهوا فالعيب فيهم ؛ فهم لا يزيدون في فهمهم على البقر . قال[31] :

أهـــزّ بالشـــعر أقوامـــا ذوي وســـن **فـي الجهـل لـو ضـربوا بالسـيف مـا شـعروا**
علـــيَ نحـــت القـــوافي مـــن مقاطعهـــا ومـــا علـــيَ لهـــم أن تفهـــم البقـــر

أما سيرورة الشعر في الآفاق ومضيِه عبر الأزمان يخلد المآثر والمحامد مثلما يذكر بالمخازي والمثالب ، بما ينبئ عن دور الشعر وأهميته وأثره البالغ في حياة العرب أولا وهو أكثر

ما يعنينا هنا وعن علو قدرة الشعر الفنية وجودة نظمه ثانيا ، فقد أكثر الشعراء من ذكرها والتغني بها . وربما لا يخلو ديوان شاعر منها، تصريحا أو تلميحا . يقول أبوتمام [32]:

إحفظ وسائل شعر فيك ما ذهبت خواطف البرق إلا دون ما ذهبا
يغدون مغتربات في البلاد فما يزلن يؤنسن في الآفاق مغتربا

ويشير البحتري ، بعد أن يفتخر بسير شعره في الأنحاء ، إلى أن من الشعر ما لا يبلغ هذا الشأو من بعد الصيت لقلة جودته . وقد عبر عن ذلك باستعارته اللغوب وهو الإعياء الشديد لمثل ذلك الشعر يصيبه فيقعد عن المضي . قال[33] :

فكيف بسير منتخلات تجوب من التنائف ما تجوب ؟!
ينافس سامع فيها أباه إذا جعلت بسؤدده تهيب
بلغن الأرض لم يلغبن فيها وبعض الشعر يدركه اللغوب

ويقول ابن الرومي[34] :

أرى الشعر يحيي المجد والبأس والندى تبقيه أرواح لها عطرات
وما المجد لولا الشعر إلا معاهد وما الناس إلا أعظم نخرات

ويقول المتنبي[35] :

وما الشعر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

أما فخر الشعراء بما يقولونه من شعر وتشبيههم إياه بكل ما من شأنه أن يؤكد عمق معانيه وشدة أثره وجمال فنه وجودة سبكه ، مدحا أو هجاء ، فخرا أو غزلا ، عتابا أو وصفا أو شكوى ، فأكثر مما يمكن أن نشير إليه ، فضلا عن دخوله في إطار الجانب الشخصي لا الجانب العام الذي نبحث فيه .

((2))

قال المتنبي في معرض ردِه على تعليق سيف الدولة الحمداني بشأن بيتيه (وقفت وما في الموت ....تمر بك الأبطال .....) " ... ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ؛ لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته و تفاريقه ؛ لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ... " [36] . وهكذا كان الشعراء واعين بكثير من الأسس التي اختص بدراستها النقاد ، بل إنهم عرضوا لها في أشعارهم أو في لفتاتهم النثرية ، مما يساعدنا على تقديم مفهومهم للشعر من أطرافه كافة ، لا بوصفهم نقادا متخصصين بل شعراء مثقفون يدركون خصائص ما يمارسون من فن ، وإلا فإن الواحد منهم إذا ما " أمعن في النقد وحاول أن يتدخل كثيرا، بوعي منه وإدراك ، في بناء قصيدته ، خرج بها من الفن إلى الصناعة ، وصار أثره الناتج أقرب إلى النظم منه إلى الشعر" [37] . وهو ما لا ينطبق تأكيدا على الشعراء الذين اتخذناهم نماذج لبحثنا

؛ ومن ثمة كانوا من أبرز شعراء العربية وأهمهم . ومن الحقيق بالتوضيح أن ما سنعرض له من أسس نقدية مما أشار إليه الشعراء في نصوصهم قد حظيت جميعا بالدراسة والبحث والتنظير من النقاد العرب قدامى ومحدثين وكان لهم فيها صولات وجولات[38] .

1. اللفظ والمعنى :

أدرك الشعراء عميقا ضرورة إعمال الفكر في المعاني والأفكار التي يريدون البوح بها ، مع ضرورة تقديمها في حلة لفظية تناسبها وتقدمها بأفضل هيأة " قيل لبشار بن برد : بم فقت أهل عمرك وسبقت أبناء عصرك ، في حسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه ؟ قال : لأني لم أقبل كل ما تورده عليَ قريحتي ، ويناجيني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ونظرت إلى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها بفكر جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سبرها ، وانتقيت حرَها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت عن متكلفها ، ولا والله ما ملك قيادي الإعجاب بشئ مما آتي به " [39]. فبشار إذن لم يترك العنان للفكرة تقوده كما تشاء بل إنه هو الذي كان يخضعها للتأمل والكشف بعيدا عن التكلف والتصنع . وإذا كان في إجابته تأكيد على الفكرة فإنه لم يجب بتفصيل صريح عن طبيعة إتيانه بالألفاظ المعبرة أو المهذبة بحسب تعبير السائل وكيفية تقديمه المعنى عبرها إلا ما كان من إشارته إلى (لطائف التشبيهات) ، وكأني به يريد الإشارة إلى عنايته بالمعنى أكثر من اللفظ على أساس من أن اللفظ المناسب سيأتي بالضرورة بعد إعمال الفكر في المعنى . لينهي إجابته بالإعلان عن أنه لم يقع أسير قياد ما يأتي به ؛ ذلك أنه كما توحي بذلك عبارته يسعى إلى الأفضل . هذا أبو تمام يشير إلى التلازم بين المعنى الجديد واللفظ الرصين في ما يقوله في ممدوحه [40] :

وجديـــدة المعنـــى إذا معنـــى التـــي تشـــقى بهـــا الأســـماع كـــان لبيســـا
تلهـــو بعاجـــل حســـنها وتعـــدّها علقـــا لأعجـــاز الزمـــان نفيســـا
مـــن دوحـــة الكلـــم التـــي لـــم تنفكـــك يمســـي عليـــك رصـــينها محبوســـا

فأبياته في الممدوح جديدة المعنى نفيسته في حين أن معنى غيرها قديم بال مثلما عدَ ألفاظه فيها أو صوغه إياها من (دوحة الكلم) . ودوحة الكلم هنا تحتمل التأويل بالمعنى أو بالألفاظ أو بكليهما معا .

وإذا ما أوصى أي أبا تمام البحتري بما يخص هذا الشأن قال له : "... وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزَريِة ، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام... " [41] . فهو إذن ينصحه بأن تكون الألفاظ مختارة بعناية أولا وأن تكون على قدر المعاني ثانيا . وقد مرّ بنا في أثناء حديثنا عن الجزء من الوصية نفسها الذي يوجه فيه أبو تمام البحتري في طبيعة ألفاظ النسيب ومعانيه مثلما حدّد له ما يظهره ويؤكده من معان في المديح .

أما البحتري فيصرح بأن اللفظ حلي المعنى وزينته ، وكلما كان اللفظ جميلا معبرا ، حسن اختياره وأجيدت صياغته كان أدل على المعنى أو قل قدَم المعنى بصورة أجمل وشكل أبهى ، يقول[42] :

واللفظ حلي المعنى ، وليس يري ك الصفر حسنا يريكه ذهبه

فكنى عن طبيعة اللفظ ب(الحلي) ومدى جماله بالموازنة بين حلية قوامها الصفر وحلية قوامها الذهب ، وشتان قيمة وشكلا بين الاثنين .

ليأتي المتنبي ويقر بأنه شاعرا لم يكن له إلا فضل الصياغة ؛ فالمعاني الكبيرة التي كان له فضل صياغتها ألهمته بها خصال الممدوح وأعماله المجيدة ، ومن ثمة حدث التكامل بين الممدوح والشاعر، وكيف لا يحدث ذلك وكلاهما بارع متمكن . وإن كان في البيت الذي يليه يرفع شعره فوق شعر غيره حين يشبه شعره بصهيل الجياد وشعر غيره بنهيق الحمير . وإذا ما كان شعره وشعر الآخرين في الممدوح نفسه ففي ذلك تأكيد ضمني على فضل الصياغة ودور النظم في بيان المعاني ورسم الأفكار . قال[43] :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا ربّ المعاني الدقاق

لم تزل تسمع المديح ولكنَ صهيل الجياد غير النهاق

وللناشئ قصيدة يعرض فيها لمجموعة من أحكام الفن الشعري ومنها حديثه عن عدد من موضوعات الشعر كالوقوف على الأطلال والمديح والعتاب ، يوضح فيها بصيغة الخطاب ما يجب أن يركز عليه الشاعر في كل موضوع منها ، حتى يحقق الغرض من شعره [44].

ولعل مما له وثيق صلة بثنائية اللفظ والمعنى ثنائية أخرى تنتج برأينا من طبيعة تلك العلاقة ألا وهي ثنائية الوضوح والغموض أو السهولة والتعقيد .ولنبدأ بقول البحتري يفخر بأبيات له في أن ما أكسب معانيها جمالا وبهاء حتى غدت كالعذارى الجميلات المتبخترات بحللهن الزاهية البهية هو أنها جاءت بألفاظ قريبة واضحة من غير غرابة أو تعقيد [45] :

ومعان لو فصّلتها القوافي هجَنت شعر " جرول " و " لبيد "

حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنَبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأد ركن به غاية المراد البعيد

كالعذارى غدون في الحلل الصف ر إذا رحن في الخطوط السّود

وكان أبو تمام من قبل قد تعرض للانتقاد والمساءلة عن سبب غموض معانيه وبعد مراميها لكنه أجاب السائل بما يوحي إلى السامع بعدم قدرة السائل نفسه على الفهم وذلك عبر الغوص في المعاني وإعمال الذهن في تلمسها ؛ فقد " قال له رجل : يا أبا تمام . لم لا تقول من الشعر ما يعرف ؟ فقال : وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال ؟ فأفحمه .. " [46] .

ولـيس مـن شـك فـي أن أمـر الوضـوح والغمـوض أو السـهولة والتعقيـد نسـبي يخضـع لاعتبارات عدة منها مثلا مدى قصدية أو عفوية الشاعر إلى الإيضاح أو الإغماض في شعره، ومدى ثقافة المتلقي سامعا أو قارئا بما يمكنه من اقتحام الغامض واكتشاف البعيد .. وإلى غير ذلك مما يتعلق بهذا الأمر .فلنسمع إلى المتنبي ، مفتخرا بأن شعره يسبب الحيرة حتى للواعين بالشعر والدارسين له ، إذ يقول [47] :

وســـــــامع رعتـــــــه بقافيـــــــة يحـــــار فيهـــــا المـــــنقح القولـــــه

بل إن شعره ليسمعه الجميع من دون استثناء ، ويبقون دونه محللين ومفسرين[48] :

أنـــا الـــذي نظـــر الأعمـــى إلـــى أدبـــي وأســـمعت كلمـــاتي مـــن بـــه صـــمم

أنـــام مـــلء جفـــوني عـــن شـــواردها ويســـهر الخلـــق جرّاهـــا ويختصـــم

وهكذا فقد اختلف الشعراء من حيث نظرتهم إلى الغموض والوضوح ؛ فمنهم من تعمد هذا ومنهم من سعى إلى ذلك ، كلا بحسب طبيعته النفسية بما تفرضه من ميول شخصية ، وحصيلة ثقافية بما تعنيه من توجهات معرفية ، فضلا عن إمكاناته الفنية وما تكشف عنه من خصائص أدائية .

2. الصدق والكذب :

عني الشعراء بالصدق والكذب في ما يقولونه من شعر، وقد شغلهم الأمر حتى ذكروه في قصائدهم ، وفي مناسبات مختلفة بين مؤيد لوجود الكذب في الشعر ومعارض ومتردد . وما أعنيه ههنا الصدق والكذب المعنويين أي بالمعنى الأخلاقي لهما . ولم ألحظ فيما قرأت أية إشارة إلى ما يصطلح عليه ب(الصدق الفني) أو (صدق التجربة الشعرية) . ولعل البحتري قد مسّ هذا الجانب مسا خفيفا في بيتين له أو لعلي أنا الذي افترضت ذلك ؛ إذ قال في معرض قصيدة تحدث في أبيات منها عن الشعر بوصفه فنا [49] :

كلفتمونـــــا حـــــدود مـــــنطقكم فـــي الشـــعر يلغـــى عـــن صـــدقه كذبـــه

ولـــم يكـــن "ذو القـــروح " يلهـــج بـــال منطـــق ، مـــا نوعتـــه ، ومـــا ســـببه ؟

فهو يعترض على تحكيم المنطق في الشعر وفرضه معيارا للنظر فيه ، و من ذلك المنطق الحكم بالصدق أو الكذب على الشعر ، ويعد ذلك من الكلف التي حملها الشعر وهي مما ليس فيه أو منه ، مستشهدا بشعر امرئ القيس تحديدا .

وإذ بدأنا بالبحتري فلأن في كلامه تعميما يقترب من التنظير ، و إلا فإن أبا تمام قبله قد أشار إلى الأمر ولكن من وجهة نظر شخصية أخلاقية ؛ إذ قال معترفا بأنه مدح من لا يستحق المدح حتى صدقت فيه صفة (النصاب) و (الكذاب)[50] :

عجبـــا لقـــوم يســـمعون مـــدائحي لـــك لـــم يقولـــوا كاتـــب نصـــاب

نبـــزوا بكـــذاب مســـيلمة فقـــد وهمـــوا وجـــاروا بـــل أنـــا الكـــذاب

فهو لأجل ذلك لا يقل عن مسيلمة الكذاب . ولننتبه إلى ما ت}كده المقارنة بمسيلمة من قيمة أخلاقية للكذب قصد إليها قصدا ، بعيدا عن الطبيعة الفنية للكلام الذي حملها وأوصلها .

ولعل أمر الصدق والكذب بهذا المفهوم لم يشغل شاعرا مثلما شغل ابن الرومي ، ولاسيما أنه يربطه بالإثابة على المدح . يقول [51] :

إذا مـا مـدحت المـرء يومـا ولـم يثـب مديحي ، وحق الشعر في الحكم واجب
كفـــاني هجـــائي قيـــامي بمدحـــه خطيبا ، وقول الناس لي : أنت كذاب

وينتقل في نص آخر ليعمم حاله على جميع الشعراء وبالمعنى نفسه ، إذ يقول[52] :

ظنـــي لـــئن أنـــا دام لـــي حرمانـــه لألقّـــــبنّ بشـــــاعر كـــــذاب
يـــا بـــؤس للشـــعراء يســـهر لـــيلهم ويلقّبـــــون بأســـــوء الألقـــــاب

3. السرقات الشعرية :

مثلما شغل موضوع السرقات الشعرية النقاد العرب (القدامى) حتى أولوه حيزا مهما من عنايتهم ، فقد شغل الشعراء العباسيين ومن تبعهم ؛ لأنهم عاصروا بواكير الحركة النقدية و تابعوا تطورها وهي التي اتخذت من أشعارهم مضوعا لدراستها ومادة لأبحاثها ، وكان من أبرز ما ركزت عليه ما ورد في تلك الأشعار مما اصطلح عليه ب(السرقات) . ومن ثمة ورد ذكرها في أشعارهم بوصفها مشكلة يعانونها أو تهمة يدفعونها . هذا أبو تمام ينشئ قصيدة من اثني عشر بيتا في هجاء رجل سرق شعره ، ومما قاله فيها [53] :

إنمـــا الضـــيغم الهصـــور أبتـــو الأش بـــال منـــاع كـــل خمـــيس وغـــاب
مـــن غـــدت خيلـــه علـــى ســـرح شـــعري وهـــو للحـــين راتـــع فـــي كتـــابي
غـــارة أســـخنت عيـــون المعـــالي واســـــتحلت محـــــارم الآداب
لـــو تـــرى منطقـــي أســـيرا لأصـــبحت أســـــيرة لعبـــــرة واكتئـــــاب
يـــا عـــذارى الكـــلام صـــرتن مـــن بـــع دي ســـبايا تـــبعن فـــي الأعـــراب

وإلى مثل ذلك أشار البحتري حين هجا أحدهم ممن سرقوا شيئا من شعره ؛ إذ قال[54] :

أجلـــى لصـــوص الـــبلاد يطلـــبهم وبـــات لـــص القـــريض ينتهبـــه
قاتلتنـــــا بالســـــلاح تملكـــــه معتزيـــــا بالعديـــــد تنتخبـــــه
أردد علينـــا الـــذي اســـتعرت وقـــل قولـــك يعـــرف لغالـــب غلبـــه

فإذا كان أبو تمام في النص الأول يعد هذا العمل إغارة على شعره سبت إبداعه من عذارى الكلام ساخرا ومتهكما ، فإن البحتري يؤكد على اعتباره لصوصية يطالب برد ما أخذه

اللصوص وإن سماها استعارة متحديا السارق أن يثبت أمامه في ميدان الشعر ليتبين من الفارس ومن المغلوب .

ولعل تيقن الشعراء التام من أن هذه الظاهرة مرصودة من النقاد هو الذي دفعهم إلى الحديث عنها والقول فيها ، ليحفظوا لأنفسهم حقها في السيق والإبداع كما فعل أبو تمام والبحتري ، أو ليردوا عن أنفسهم تهمة الأخذ من السابقين كما قال المتنبي يسوغ الشبه بين بعض من معانيه ومعاني شعراء ممن سبقوه حين ووجه بذلك " رويدا ، أما ما نعيته عليّ من السرق فما يدريك أني اعتمدته ، وكلام العرب آخذ بعضه برقاب بعض ، وآخذ بعضه من بعض ، والمعاني تعتلج في الصدور ، وتخطر للمتقدم تارة وللمتأخر تارة ، والالفاظ مشتركة مباحة . وهذا أبو عمرو بن العلاء سئل عن الشاعرين يتفقان في اللفظ والمعنى مع تباين ما بينهما ، وتقاذف المسافة بين بلادهما ، فقال : تلك عقول رجال توافت على ألسنتها . وبعد ، فمن هذا الذي تعرّى من الاتباع ، وتفرد بالاختراع والابتداع ، لا أعلم شاعرا جاهليا ولا إسلاميا إلا وقد احتذى واقتفى ، واجتذب واجتلب " [55] . وربما كان ما في التسويغ من وضوح وبيان مما لايحتاج معه إلى الشرح والتفسير . ومن الحقيق بالذكر أن المتنبي نفسه هو القائل في موضع آخر وفي الموضوع عينه ".. إنما الشعر جادة وربما وقع الحافر على الحافر.. " [56] . بل إننا لنلحظ الشاعر منهم يفخر بأن شعره أو جزءا منه ليس بالمسروق أو ليس فيه معنى معاد ؛ لأن في ذلك انتقاصا من إبداعه ، من ذلك قول أبي تمام يفخر بأبيات له[57] :

منزَهـــــة عـــــن الســـــرق المـــــورّى مكرَمـــــة عـــــن لمعنـــــى المعـــــاد

وفي ذلك إشارة إلى ما يعمد إليه عدد من الشعراء من تورية سرقاتهم حتى تخفى على المتلقين فلا يكتشفوها .

4. ملامح نقدية أخرى :

ثمة ملامح نقدية ورد ذكرها في شعر الشعراء العباسيين على نحو أقل شأنا أو حجما مما عرضنا لذكره فيما مر من هذا المبحث ، آثرنا أن نجمل ألإشارة إليها في هذا الجزء من المبحث . وتتمثل في :

أ. الإطناب والإيجاز أو الطول والقصر :

لعل خير ما يعبر عن حقيقة الشعر كما يراه أعلام الشعر من العباسيين ، قول البحتري[58]:

والشعر لمح تكفي إشارته ... وليس بالهذر طوِلت خطبه

وهي نظرة للشعر تتفق مع أدق وأرقى ما تذهب إليه النظريات النقدية الحديثة ، مع أن أبا تمام قد أشار من قبل إلى أن أمر الطول(أو الإطناب) والقصر(أو الإيجاز) رهن بالمقام الذي يقال فيه الشعر وبالمناسبة التي يمثلها ، وذلك في قوله[59] :

بالشعر طول إذا اصطكت قصائده ... في معشر وبه عن معشر قصر

على أننا لا نغفل أن في البيت دلالة مجازية فضلا عن دلالته الحقيقية أو الظاهرة لكنها لا تتقاطع مع بغيتنا من الاستشهاد به .

أما الناشئ فيرى على العكس من البحتري أن في الإطناب فائدة للشعر مثَل لها يرأب ما قد يعتوره من فساد أو صدوع، وفي الإيجاز إساءة له مثَل لها بفتح عيون عور . قال[60]:

الشعر ما قوَمت زيغ صدوره ... وشددت بالتهذيب أسر قيوده

ورأيت بالإطناب شعب صدوعه ... وفتحت بالإيجاز عور عيونه

وجمعت بين قريبه وبعيده ... ووصلت بين مجمه ومعينه

ب. النظم والصنعة :

ولا أرمي هنا إلى الحديث عن تفصيلات عملية النظم أو صنعة الشعر ؛ لأن ذلك غير متوفر في النصوص الشعرية فهو ليس من شانها إلا ما ورد من إشارات متفرقة سوف تتناولها مفردات البحث القادمة فضلا عما يكون قد مر منها في ما سبق من البحث ، بل إننا نهدف إلى عرض ما ورد من نصوص تتحدث عن عملية النظم في مجملها مما لا تتسع لأكثر منه طبيعة الفن الشعري . من ذلك مثلا ما روي عن أحدهم أنه قال ".. دخلت على أبي تمام وقد عمل شعرا لم أسمع أحسن منه ، وفي الأبيات بيت واحد ليس كسائرها ، وعلم أني قد وقفت على البيت، فقلت له : لو أسقطت هذا البيت ! فضحك وقال لي : أتراك أعلم بهذا مني؟ إنما مثل هذا مثل رجل له بنون جماعة ، كلهم أديب جميل متقدم ، فيهم واحد قبيح متخلف ، فهو يعرف أمره ويرى مكانه ، ولا يشتهي أن يموت ، ولهذه العلة وقع مثل هذا في أشعار الناس" [61] .

أما ابن الرومي فقد أشار إلى مثل هذا المعنى في قصيدة له شبَه شعره فيها بالشجر الذي يرى فيه اللحاء والخشب والشوك والثمر[62] :

قولا لمن عاب شعر مادحه ... أما ترى كيف ركب الشجر ؟

ركِب فيه اللحاء و الخشب الـ ... ـيابس والشوك بينه الثمر ....

فليعذر الناس من أساء ومن ... قصَر في الشعر . إنه بشر

مطلبـــه كالمغـــاص فـــي درك اللجـــ ـــــة مـــــن دون درهـــــا خطـــــر
وليـــــذكروا أنـــــه يكـــــدّ لـــــه الـــــ عقـــل وتنضـــى فـــي قرضـــه الفكـــر
وفيـــــه مـــــا أخـــــذ التخيـــــر مـــــن غـــــال ثمـــــين وفيـــــه مـــــا يـــــذر
ولـــيس بـــدٌ لمـــن يغـــوص مـــن الـــ جـــرف لمـــا يصـــطفى و يحتقـــر

فلابد في أثناء عملية النظم من هفوات أو سلبيات لكنها لدى الشراء الكبار لا تنتقص من مجمل شعرهم الجيد ، بل إنهم هم أنفسهم لا يستغنون عنها ولا يتنصلون منها لأنها لهم كالأولاد بضعة منهم .

ج. علم العروض :

لم يخل شعر الشعراء العباسيين من مصطلحات علم العروض في أثناء حديث كل منهم عن جودة نظمه الشعر وقوة سبكه إياه ، سواء أكان ذلك في معرض الفخر بتفوق شاعريته على من سواه من الشعراء على نحو مباشر أو غير مباشر أم في المديح يسجل به حظوة لدى الممدوح ، أم في الهجاء يتهدد الآخرين بما سيسلقهم به من شعر حاد أعداء أو منافسين أو ... ، ومنهم من أتى بها في معرض الشكوى والعتاب من حيث لم يتل ، على جودة شعره ، ما يستحقه من حظوة . ولعل من أبرز الشعراء الذين تكررت في شعرهم مصطلحات العروض على النحو الذي أشرنا إليه أبا تمام ، على أن غالب ما ورد منهإن لم يكن كله جاء في سياق الفخر أو المديح . من ذلك قوله مادحا ، مفتخرا بجودة نظمه في الممدوح[63] :

إليك بعثت أبكار القوافي يليهمـــا ســـائق عجـــل وحـــادي ....
شداد الأسر سالمة النواجي مـــــن الإقـــــواء فيهـــــا والســـــناد

فـ(القوافي) كناية عن شعره فيه التي قالها فيه أبكار جديدة لم يقلها في أحد غيره ، وهي خالصة من أي عيب عروضي قد يشينها مثل (الإقواء) و (السناد) . ومن ذلك كذلك قوله[64] :

وتقفـــو إلـــى الجـــدوى بجـــدوى وإنمـــا يروقـــك بيـــت الشـــعر حـــين يصـــرَع

فهو يقول " إذا أعطيتها مرادها قفت إليَ أي أتبعت عطيَتها بعطية فيكون ذلك أشد لحبي لها كما أن بيت الشعر إذا صرِع كان أحب إلى السامع إذ صارت فيه قافيتان " [65] .

أما البحتري فيجيب حين سئل ذات مرة عن ركوبه قافية صعبة مع رجل لاحظ له معه ولم يركب قافية سهلة مع أنه يطلب رضاه " .. يا بنيَ لعمري إن الكلام في القوافي السهلة أطبع وأمكن، إلا أن الحاذق لا يقول إلا جيدا في أي شئ أخذ،ولأي قافية ارتكب.."[66]. فهو لا يقبل لشاعريته أن تطلب السهل وهي القادرة على الصعب مهما كانت مناسبة القول .

وأما شعر ابن الرومي فيبقى خير مثال لشعر الشكوى والعتاب الذي وظف مصطلحات العروض لبث ما يعاني من جحود ممدوحيه وهو الشاعر المجيد [67] .

د. علوم البلاغة :

لعل في ما مر من البحث وهذه آخر فقرة فيه شواهد وافية عن استخدام الشعراء لمصطلحات علوم البلاغة وفنونها في أشعارهم ، بما يصور جليا طبيعة مفهومهم للشعر مثلما يحكي حسن استخدامهم لما تدل عليه هذه المصطلحات في تعزيز الأفكار التي يصورونها والمعاني التي يتحدثون عنها ، ولاسيما أن كثيرا منها إن لم تكن كلها قد أخذت شخصيتها القارة في نقدنا الأدبي (القديم) ، وأعني : موضوعات الشعر من (مديح) و(هجاء) و(تشبيب) و(نسيب) ، فضلا عن (القصيدة) و(القوافي) أو(القافية) ، و(البيان) ، و(اللفظ) و(المعنى) ، و(الصدق) و(الكذب) ، و(الإطناب) و(الإيجاز) ، و(المورّى) .... الخ .

وإذ ننتهي من بحثنا يهمنا أن نختمه بما ختم به أبو تمام وصيته للبحتري ؛ لما فيها من رأي ثاقب وحكمة بليغة لا تحتاج معهما إلى تعليق فقد قال له " .. وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله تعالى . " [68] .

الخاتمة :

كانت رحلة ممتعة هذه التي خضناها سعيا وراء تلمس مفهوم الشعر لدى شعراء العصر العباسي ، وبعد أن وقعنا على بغيتنا من النصوص ، جمعناها من شعر شعراء كانت لهم صولاتهم وجولاتهم في ميدان الشعر العربي (العباسي) حاولنا أن نسجل ما وجدناه في أشعارهم وأقوالهم بما يسهم في بلورة مفهوم للشعر كما نظروا إليه هم ، من غير أن نضيف إلى ما قالوه أو نتعسف على ما صرّحوا به ، وكانت حصيلتنا من النتائج متمثلة فيما يأتي :

أولا. شغلت الحركة النقدية الشعراء ولاسيما أنهم كانوا نماذجها والشواهد التي بنى عليها النقاد أحكامهم ؛ ومن ثمة حاولوا أن يجوّدوا في فنهم أولا، وأن يظهروا مخزونهم الثقافي وحصيلتهم المعرفية ثانيا ، وكان من هذا وتلك ما صرّحوا به وأشاروا إليه من ثقافتهم الأدبية النقدية مما وشّحوا به أشعارهم وعزّزوا به أفكارهم .

ثانيا. ظهر مفهوم الشعراء العباسيين للشعر في مظاهر متعددة ، جمعناها في محورين ، تخصص الأول بمظاهر الفن القولي متمثلة في : تخيّر الأوقات و البواعث على القول ، و موضوعات الشعر ، و الإنشاد و سيرورة الشعر و أثره . ليتخصص الثاني بمظاهر أو موضوعات نقدية تمثلت في : اللفظ والمعنى ، والصدق والكذب ، والسرقات الشعرية ، فضلا عن جوانب أخرى مكملة لها مثل : الإطناب والإيجاز أوالطول والقصر ، والنظم والصنعة ، وعلم العروض ، وعلوم البلاغة .

ثالثا. لم يخرج مفهوم الشعراء العباسيين للشعر في محصلته العامة والنهائية عن مفهوم النقد العربي له ، وإذا ما كانت ثمة اختلافات عن بعض تقعيدات النقاد العرب للفن الشعري إلا أن فيها كذلك تجليات واستشرافات تجاوزت عصرهم وتفوّقت عليه ، مما لن يخفى على القارئ المدقق والمتخصص إدراكه .

رابعا. قد تكون هنالك جوانب وأبعاد أخرى موجودة هنا أو مخفية هناك مما لم نتمكن من العثور عليه لعدم وقوعنا عليه خلال مدة إنجاز البحث أولا ومما لا تتسع له طبيعة بحث كبحثنا هذا أن تلم به ثانيا ، ولكن دراسة أكاديمية واسعة ومطوّلة ربما تتمكن من الإحاطة الكاملة بكل تفصيلات جوانب هذا الموضوع ، عسى أن يعمل بحثنا هذا على إثارة الرغبة في إنجازها .

الهوامش :

(*) حظي (المفهوم) بعناية الدارسين قديما وحديث من حيث أبعاده وآفاقه وأصوله واشتراطاته بما يغنينا عن الكلام عليه ..ينظر مثلا لاحصرا : بنية العقل العربي محمد عابد الجابري 385/1 ، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية أميل يعقوب وآخرون 269، المعجم الأدبي جبور عبد النور 259 ، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية علية عزت عياد 82 ، مقدمة في علم المصطلح علي القاسمي 213 ، المصطلح النقدي في كتب إعجاز القرآن حتى القرن الخامس الهجري إبراهيم الحمداني 7-17 .

(1) العمدة 104/2 .

(2) ينظر في ذلك مثلا الجهد الطيب الذي تمثل في كتاب الدكتور عبدالجبار المطلبي (الشعراء نقادا) الذي استوعب نظرات الشعراء النقدية عامة وخاصة ضمن عصر صدر الإسلام والعصر الأموي تحديدا . وكتاب الدكتورة هند حسين طه (الشعراء ونقد الشعر) الذي عرض لجهود الشعراء النقدية منذ الجاهلية حتى نهاية القرن الرابع الهجري .

(3) العمدة 2/ 114. وينظر : زهر الآداب 111/1 .

(4) الشعراء نقادا 158 .

(5) ينظر : المصدر نفسه 158 160 .

(6) ديوان البحتري 620/1 .

(7) العمدة 239/2 . وينظر : زهر الآداب 110/1 .

(8) المصدر نفسه 239/2 . وينظر : زهر الآداب 111/1 .

(9) زهر الآداب 111/1 . وينظر: العمدة 114/2 .

(10) شرح الصولي لديوان أبي تمام 369/2 .

(11) ديوان البحتري 1018/2 .

(12) كتاب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب 245/1 246 .

(13) شرح الصولي لديوان أبي تمام 599/1 . وينظر مثالا لا حصرا : المصدر نفسه 221/1 و 299 و458 و497 و499 ، 24/2 ، 488/3 و 507 .

(14) المصدر نفسه 2/ 390 .

(15) ديوان البحتري 1809/3 . وينظر : المصدر نفسه 57/1 و 229 و281 ، 958/2 .

(16) ديوان ابن الرومي 155/1 . وينظر : المصدر نفسه 201/1 و360 . وإن كان ابن الرومي نفسه قد قال :

كل امرئ مدح امرءا لنواله فأطال فيه فقد أراد هجاءه

لو لم يقدِر فيه بعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه

غيري فإني لا أطيل مدائحي إلا لأوفي من مدحت ثناءه
وأعدُ ظلما أن أقل مديحه عمدا ، وأسخط أن أقل عطاءه
(المصدر نفسه 111/1)

(17) المصدر نفسه 93/1 .

(18) كتاب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب 300/2 . وينظر : المصدر نفسه 34/1 و213 .

(19) ديوان علي بن الجهم 146 147 . وينظر : العمدة 42/1 .

(20) ينظر : شرح الصولي لديوان أبي تمام 70/3 ، ديوان البحتري 88/1 ، ديوان ابن الرومي78/1 و96 و201 و298 .

(21) ينظر : ديوان ابن الرومي 93/1 و150 و307 .

(22) شرح الصولي لديوان أبي تمام 72/3 .

(23) المصدر نفسه 311/1 .

(24) ديوان البحتري 88/1 .

(25) ديوان ابن الرومي 292/1 .

(26) كتاب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب 509/2 .

(27) العمدة 114/2 . وينظر : زهر الآداب 111/1 ؛ إذ بدأ هذا المقطع منها فيه ب " فإن أردت النسيب .."

(28) ديوان البحتري 655/2 .

(29) المصدر نفسه 812/2 813 .

(30) المصدر نفسه 1175/2 .

(31) المصدر نفسه 955/2 .

(32) شرح الصولي لديوان أبي تمام 299/1 . وينظر : المصدر نفسه 551/1 ، 384/2 ، 75/3 .

(33) ديوان البحتري 259/1 . وينظر : المصدر نفسه 579/1 ،813/2 و826 .

(34) ديوان ابن الرومي 391/1 . وينظر : المصدر نفسه 63/1 و298 .

(35) كتاب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب . وينظر: المصدر نفسه 34/1 ، 354/2 .

(36) يتيمة الدهر 34/1 . وللاطلاع على نص الخبر وما كان فيه من تعليق لسيف الدولة بشأن البيتين مقارنا إياها بما استدرك على امرئ القيس في بيتين مماثلين و رد المتنبي و تسويغه لذلك ينظر : المصدر نفسه 33/1 34 .

(37) الشعراء نقادا 9 .

(38) ينظر للاطلاع على جهود النقاد والشعراء النقاد العرب في هذا الشأن ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري للدكتور إحسان عباس ، بناء القصيدة العربية للدكتور يوسف حسين بكار ، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي للدكتور جابر عصفور ، نظرية الشعر عند الشعراء النقاد في الأدب العربي الحديث من خليل مطران إلى بدر شاكر السياب (دراسة مقارنة) للدكتور منيف موسى ، الشعراء ونقد الشعر منذ الجاهلية حتى نهاية القرن الرابع الهجري للدكتورة هند حسين طه ، الشعراء نقادا للدكتور عبدالجبار المطلبي .

(39) العمدة 239/2 . وينظر : زهر الآداب 110/1 .

(40) شرح الصولي لديوان أبي تمام 585/1 . وينظر : المصدر نفسه 215/1 و487 ، 44/2 ، 545/3 .

(41) العمدة 114/2 115 . وينظر : زهر الآداب 111/1 .

(42) ديوان البحتري 209/1 . وينظر : المصدر نفسه 88/1 و 637 ، 810/2 و1101 .

(43) كتاب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب 245/1 246 . وينظر : المصدر نفسه 354/2 355 .

(44) ينظر للاطلاع على نص القصيدة : العمدة 115/2 116 .

(45) ديوان البحتري 637/1 .

(46) أخبار أبي تمام 72 .

(47) كتاب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب 254/1 .

(48) المصدر نفسه 343/2 . وينظر : 357/2 .

(49) ديوان البحتري 209/1 . وينظر فيما يخص المفهوم القيمي مما قاله البحتري : المصدر نفسه 228/1 .

(50) شرح الصولي لديوان أبي تمام 83/3 .

(51) ديوان ابن الرومي 150/1 .

(52) المصدر نفسه 298/1 . وينظر : 96/1و97و354 .

(53) شرح الصولي لديوان أبي تمام 78/3 79 .

(54) ديوان البحتري 209/1 .

(55) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره 143 .

(56)

(57) شرح الصولي لديوان أبي تمام 386/1 .

(58) ديوان البحتري 209/1 .

(59) شرح الصولي لديوان أبي تمام 534/1 .

(60) العمدة 115/2 .

(61) أخبار أبي تمام 114 115 .

(62) ديوان ابن الرومي 1029/3 .

(63) شرح الصولي لديوان أبي تمام 385/1 .

(64) المصر نفسه 7/2 .

(65) المصدر نفسه 8/2 . وينظر : 37/2 ، 44/3 و488 ، و أخبار أبي تمام 68 69 .

(66) أخبار البحتري 121 . وللاطلاع على نماذج من شعره التي وردت فيها مصطلحات عروضية ينظر : ديوان البحتري 208/1و620 و637 وكلها في موضوع الفخر .

(67) ينظر : ديوان ابن الرومي 298/1 و359 360 و368 .

(68) العمدة 115/2 . وينظر : زهر الآداب 111/1 .

ثبت المصادر والمراجع:

- أخبار أبي تمام أبو بكر الصولي تح : خليل محمود عساكر وجماعته الطبعة الثالثة دار الآفاق الجديدة بيروت 1980 .
- أخبار البحتري أبو بكر الصولي تح :صالح الأشتر دار الفكر دمشق 1964 .
- ديوان ابن الرومي تح : د. حسين نصار مطبعة دار الكتب 1973 .
- ديوان البحتري تح : حسن كامل الصيرفي سلسلة ذخائر العرب (34) دار المعارف بمصر 1963 .
- ديوان علي بن الجهم تح : خليل مردم بك الطبعة الثانية لجنة التراث العربي بيـــــروت لبنان د.ت .
- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره أبو علي الحاتمي تـح : د . محمد يوسف نجم دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1965 .
- زهر الآداب وثمر الألباب أبو إسحاق الحصري القيرواني تح: علي محمد البجاوي الطبعة الثانية دار إحياء الكتب العربية د.ت .
- شرح الصولي لديوان أبي تمام أبو بكر الصولي تح : د. خلف رشيد نعمان
- الجزء الأول الطبعة الأولى سلسلة التراث(55)وزارة الإعلام الجمهورية لعراقية 1977.
- الجزء الثاني سلسلة كتب التراث(69) منشورات وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقيـــة دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت 1978 .
- الجزء الثالث سلسلة دراسات (113) منشورات وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية مؤسسة الخليج للطباعة والنشر الكويت 1982 .
- الشعراء نقادا د. عبد الجبار المطلبي الطبعة الأولى دار الشؤون الثقافية العامة بغـــــداد 1986 .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ابن رشيق القيرواني تح : محمد محيي الدين عبدالحميد الطبعة الخامسة دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة بيروت لبنان 1981 .
- كتاب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ناصيف اليازجي المطبعة الأدبية بيـــــروت د.ت .
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر أبو منصور الثعالبي تح : محمد محيي الدين عبدالحميد الطبعة الثانية مطبعة السعادة القاهرة 1956 .